يتكلم بها معنا في المناظرة لم يقدر على قراءة كتبه لفصاحته وغرائب ألفاظه ، غير أنه يجتهد في تأليفه في أن يوضع للعوام» ، وقال عبد الملك بن هشام صاحب «السيرة» ، وعالم اللغة العربية: «طالت مجالستنا للشافعي ، فما سمعت منه لَحْنة قط ، ولا كلمة غيرها أحسن منها ، وعقب على ذلك الذهبي فقال: «أنى يكون ذلك ، وبمثله في الفصاحة يضرب المثل ، كان أفصح قريش في زمانه ، وكان ممن يؤخذ عنه اللغة»[1].

قال أبو منصور الأزهري في «تهذيب اللغة»: «عكفت على المؤلفات التي ألفها علماء الأمصار فألفيت الشافعي أغزرهم علماً ، وأفصحهم لساناً ، وأوسعهم خاطراً»[2].

ويمتاز أسلوب الشافعي الأدبي بجزالة الألفاظ ، ووجازة العبارة ، وقوة التعبير والتأثير ، وكل من قرأ كتبه العلمية في الفقه وأصول الفقه يدرك هذه المعاني والصفات.

الشافعي إمام في اللغة:

إن الإسلام بنصوصه ، والفقه بأصوله ، يتعانقان مع اللغة العربية ، ويتلازمان معهما نظرياً وعملياً ، ويستحيل الفصل بين الإسلام والعربية ، والإمام الشافعي لم يبلغ شأوه في الاجتهاد والفقه إلا بعد أن كان إماماً في اللغة ، كما أن تبحره في اللغة وفهم معانيها وأسرارها أعانه على فهم كتاب الله ، واستنباط مراميه ، ومعرفة دلالته ، وكان له أكبر معين على وضع علم أصول الفقه ، وتدوين قواعده ، وتقرير ضوابطه وأسسه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/٤٩ ، ٧٤ ، آداب الشافعي ومناقبه ص ١٣٦ ، الإمام الشافعي للجندي ص ٧٢ وما بعدها ، مناقب الشافعي للبيهقي ٢/٤٣.

(٢) الإمام الشافعي للجندي ص ٧٣.

يقول محمد بن بنت الشافعي: «أقام الشافعي على تعلم العربية وأيام الناس عشرين سنة ، وقال: ما أردت منه إلا الاستعانة على الفقه»[1].

وقال مؤرخ: الإسلام الحافظ الذهبي عن الشافعي: «وكان من أحذق قريش بالرمي ، كان يصيب العشرة من عشرة ، وكان أولاً قد برع في ذلك ، وفي الشعر، واللغة ، وأيام الناس ، ثم أقبل على الفقه والحديث ، وجوَّد القرآن»[2].

وكانت العوامل السابقة في حياة الشافعي بكونه قرشياً ، ونشأ في مكة ، وحفظ القرآن وتفسيره ، ورحلته إلى البادية ، وحفظ أشعار هذيل والشنفرى مع معانيها. كانت هذه العوامل مؤهلة للشافعي بأن يصبح حجة في اللغة ، وإماماً في اللغة ، ويصبح كلامه حجة في العربية ، يُرجع إليه فيها ، ويعتمد عليه في تأصيلها وتصحيحها ، ونقل الفيروز ابادي صاحب «القاموس المحيط» عن الشافعي كلمة« النِّذارة» بمعنى الإنذار ، وغيرها ، ولذلك قال فيه الجاحظ قولته السابقة.

وكان أبو منصور الأزهري يعتمد على أقوال الشافعي في اللغة ، وألف كتاباً في «شرح مشكلات ألفاظ الشافعي» وشرح فيه ألفاظه الفصيحة ، وبين دلالتها ، كما ألف كثير من علماء اللغة مثل نفطويه في أسلوب الشافعي وشرح ألفاظه.

ويشهد لإمامة الشافعي في اللغة ما قاله أئمة اللغة وعلماؤها في الثناء على الشافعي ، والاعتراف له في ذلك.

فمن ذلك ما قاله شيخ العربية وإمام الكوفة واللغة والنحو أبو العباس ثعلب: «العجب أن بعض الناس يأخذون اللغة عن الشافعي (أي: رواية

---

(١) الإمام الشافعي للجندي ص ٥١ ، مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٤٢.
(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦١ ، وانظر ، سير أعلام النبلاء ١٠/ ١١.

عنه) ، وهو من بيت اللغة ، والشافعي يجب أن يُؤخذ منه اللغة ، لا أن يؤخذ عليه اللغة» أي أن ألفاظه بذاتها لغة يحتج بها.

وقال ثعلب: «الشافعي إمام في اللغة» ، وقال القاسم بن سلام: «كان الشافعي ممن يؤخذ عنه اللغة أو من أهل اللغة» وقال الربيع بن سليمان «كان الشافعي عربي النفس ، عربي اللسان» ، وقال ابن سريج: «ما رأيت أحداً أفوه ، ولا أنطق من الشافعي» وقال الإمام أحمد: «كان الشافعي من أفصح الناس ، وكان مالك يعجبه قراءته ، لأنه كان فصيحاً» ووصفه ابن أبي الجارود «بأن لسانه أكثر من كتبه» وسماه ابن راهويه: «خطيب العلماء»[1].

وقال أبو عثمان المازني إمام النحو واللغة والأدب في عصره: «الشافعي عندنا حجة في النحو» وقال الإمام أحمد: «كان الشافعي من أفصح الناس».

ويمدح الزمخشري صاحب «أساس البلاغة» و«تفسير الكشاف» الإمام الشافعي مدحاً كبيراً ويثني على علو كعبه ، وطول باعه في كلام العرب ، مع كون الزمخشري حنفي المذهب في الفقه ، ومن أئمة المعتزلة في العقيدة وعلم الكلام ، ومع ذلك ينقل عن الشافعي في تفسيره ، ويرجح أقواله ، ويقول: «وكلام مثله من أعلام العلم ، وأئمة الشرع ، ورؤوس المجتهدين ، حقيق بالحمل على الصحة والسداد» ثم يقول: «وكفى بكتابنا «شافي العييّ من كلام الشافعي» شاهداً بأنه كان أعلى كعباً ، وأطول باعاً في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا»[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٧/١٠ ، آداب الشافعي ومناقبه ص ١٣٦ ـ ١٣٧ ، الإمام الشافعي للجندي ص ٧٢ ، الشافعي ، أبو زهرة ٣٣ ، ٣٥ ، مناقب الشافعي للبيهقي ٤٣/٢ وما بعدها ، ٤٦ وما بعدها.

(٢) الكشاف ٤٩٨/١.

وقال ابن هشام: «الشافعي كلامه لغة يحتج بها»[1].

وكان الحافظ الفقيه سفيان بن عيينة، وهو محدث الحرم المكي، ومن حكماء أصحاب الحديث، كان يسأل الشافعي في المعاني، ويشير على الناس أن يسألوه.

وتتسم لغة الشافعي بالجزالة والفصاحة المعبرة، والبلاغة الواضحة، والوجازة المقصودة، ويمتاز أسلوبه وبيانه برشاقة اللفظ، ودقة التصوير، مع المعاني ذات الصفاء واللمعان، وصنف كتبه في الفقه والأصول والحديث بهذا الأسلوب الرقيق، والمستوى الرفيع، «ورفع مستوى التعبير الفقهي إلى أعلى مستويات البلاغة»[2]، كما يمتاز أسلوب الشافعي بوضوح الغرض، وتحديده بدلالة العبارة وبتمامها دون زيادة أو نقص، مع البيان للقصد المباشر، والسلامة في النحو والإعراب، فكانت كتبه من روائع الفكر والأدب معاً.

من أقوال الشافعي المأثورة:

وللشافعي حكم في النثر، كما له حكم وبلاغة وفصاحة وبيان في الشعر، فمن أقواله المأثورة في **التربية والوعظ والإرشاد** ما يتردد على الألسنة، ويدون في الكتب[3].

يقول الشافعي في **العلم**:

ـ «العلم ما نفع، ليس ما حفظ».

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه ص ١٣٦، مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٤٢.

(٢) الإمام الشافعي للجندي ص ٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٨٩ وما بعدها، مناقب الشافعي للفخْر الرازي ص ١٢٢ وما بعدها، آداب الشافعي ومناقبه لأبي حاتم الرازي ص ١٣٢ وما بعدها، ٢٧١ وما بعدها، الإمام الشافعي للجندي ص ٦٥ ـ ٦٧، تاريخ الإمام الشافعي ص ٣٩.

ـ «من لا يحب العلم فلا خير فيه ، ولا ينبغي أن يكون بينك وبينه معرفة».

ـ «من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما فعليه بالعلم».

ـ «العلم حر ، وطالبه عبد ، فإنْ خَدَم العلم قَبِله ، وإن تجبر عليه فالعلم أولى أن يتجبر عليه».

ـ «لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلم أفلح».

ويقول الشافعي في **الوفاء والصداقة**:

ـ «من برك فقد أوثقك ، ومن جفاك فقد أطلقك».

ـ «ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته».

ـ «من لم تنفعك صداقته ، فلا تهتم بعداوته».

ـ «لا تقصر في حق أخيك اعتماداً على مودته».

«إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه ، فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية ، فتكون ممن أزال يقينه بشك . . ».

ـ «إذا كان لك صديق فشد يديك ، فإن اتخاذ الصديق صعب ، ومفارقته سهل».

ونقل الأصمعي حِكماً عن الشافعي أنه قال: «أصل العلم التثبيت ، وثمرته السلامة ، وأصل الورع القناعة ، وثمرته الراحة ، وأصل الصبر الحزم ، وثمرته الظفر ، وأصل العمل التوفيق ، وثمرته النجح ، وغاية كل أمر الصدق».

وقال الشافعي رحمه الله في **معاشرة الناس**:

ـ «رضا الناس غاية لا تدرك».

ـ «ليس إلى السلامة من الناس سبيل ، فانظر ما فيه صلاح نفسك ، ودع الناس وماهم فيه».

ـ«لا ينفعك من جار السوء التوقي».

ـ«من عف أمن ، ومن شرهت نفسه طال همه . . ، وأظلم الظالمين لنفسه الذي إذا ارتفع جفا أقاربه ، وأنكر معارفه ، واستخف بالأشراف ، وتكبر على ذوي الفضل».

ـ«بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد».

وقال الشافعي في**الكلام والسكوت**:

ـ«لا تتكلم فيما لا يعنيك ، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ، ولم تملكها».

ـ«من كتم سره كانت الخيرة في يده».

ـ«سئل عن أي الأشياء أوضع للرجال؟ قال: كثرة الكلام ، وإذاعة السر ، والثقة بكل أحد».

وكان الشافعي رحمه الله **يستملح الأماليح** ، ويحض على الاستمتاع في النزهة ، فيقول: «الوقار في النزهة سخف».

وينبه على**الاعتدال** ، ويقول: «الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء ، والانقباض عنهم مجلبة للعداوة ، فكن بين المنقبض والمنبسط» ويقول»: ليس إلى السلامة من الناس سبيل ، فانظر الذي فيه صلاحك فالزمه».

ويبين الشافعي طريق السداد ، مع الخبرة والتجربة في الحياة ،

فيقول: «الكيس العاقل هو الفطن المتغافل. . . ، وليس العاقل الذي يختار بين الشر والخير فيختار ، إنما العاقل الذي يقع بين الشرين فيختار أيسرهما».

ـ «آلات الرياسة خمس: صدق اللهجة ، وكتمان السر ، والوفاء بالعهد ، وابتداء النصيحة ، وأداء الأمانة».

ـ «أربعة أشياء قليلها كثير: العلة ، والفقر ، والعداوة ، والنار».

ـ «من نمَّ لك نمَّ بك ، ومن نقل إليك نقل عنك ، وإذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك ، وإذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك».

ـ «من لم تعزه التقوى ، فلا عزّ له» ، «أنفع الذخائر التقوى ، وأضرها العدوان».

ـ «الكرم والتقوى إذا اجتمعا في شخص فهو حر».

ـ «الخير في خمسة: غنى النفس ، وكف الأذى ، وكسب الحلال ، والتقوى ، والثقة بالله»[1].

وأمثلة ذلك من الحكم والمواعظ ، والبيان والفصاحة ، والدقة في التعبير ، نجدها في سائر كلام الشافعي ، وفي كتبه وخطبه ، وحتى في مصنفاته في الفقه وفي أصول الفقه ، ويلمس القارىء لكتابه «الرسالة» هذه الروعة والمتعة ، والجمال والرصانة.

الشافعي الشاعر:

إن توفر الأرض الطيبة ، والبذار الجيد ، والسقاية الكافية ، والرعاية الحسنة ، والجهد المتواصل ، يبشر بإنتاج وفير ، وخصب عميم ، وثمار يانعة ، وقد توفرت في الشافعي رحمه الله الفطرة الصافية ، والمواهب

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٠ وما بعدها ٨٨/ ٩٧ ، الإمام الشافعي للجندي ص ٦٦.

الجمة ، والذكاء المتقد ، والعواطف السامية ، والنشأة السليمة ، والتربية القويمة ، والعمل الدائم ، والبحث الدؤوب في مختلف صنوف العلم ، وخاصة في الأدب واللغة والشعر والقرآن الكريم ، فأعطت الشافعي مكانة رفيعة في قرض الشعر ، ونظم الحكم ، والتفنن في القول ، والابتكار في المعاني ، والبلاغة في الكلام ، والجمال في التصوير ، والذوق في البديع ، فظهر له شعر رائق ، يحمل الحكم والأمثال .

وبدأ الإمام الشافعي في**نظم الشعر منذ حداثة سنه** ، واستمر على ذلك طوال حياته ، لكنه لم يتفرغ لقول الشعر ، لأنه انصرف إلى الفقه وعلوم الدين ، مع الاستمرار في رواية شعر العرب الذي حفظه ، وكان يستعين بالشعر العربي في البيان والتفسير ، والاجتهاد ومعرفة المعاني ، وتحديد الدلالات ، والمناظرات وعلم الخلاف ، والاحتجاج والكلام والخطابة .

وكان الشافعي **يرتجل** الشعر أحياناً ، ويقول المعنى الذي يريده في بيت أو بيتين ، أو قطعة يعجز غيره أن يأتي به ، وكان يلجأ إلى الشعر لأنه أقرب منالاً للسامع ، وأسهل حفظاً ، وأخف حملاً ورواية ، وأسرع انتقالاً وشيوعاً ، وأثبت مع مر الزمن وتعاقب الأيام .

وكان الشافعي يجيد الشعر ، ولكنه لا يريد الإكثار منه ، وعلل ذلك بنفسه فقال :

ولـولا الشعـر بـالعلمـاء يُـزْري لكنـتُ اليـوم أشعـر مـن لبيـد

ويقصد من ذلك أن القرآن الكريم أزرى بالشعراء ، لأنهم يبالغون في المدح والوصف ، والذم والكيد ، ويقولون ما لا يفعلون ، لذلك كان لبيد أكثر الشعراء شعراً بالجاهلية ، فلما أسلم أمسك عن الشعر إلا قليلاً ، وكان الشافعي بحق أشعر من لبيد .

قال ابن النديم في الفهرست: «كان الشافعي يقول الشعر»[1].

وقال ابن رشيق: «أما محمد بن إدريس فكان من أحسن الناس افتتاناً في الشعر».

ونقل الصولي عن علامة اللغة المبرد أنه قال: «رحم الله الشافعي، كان من أشعر الناس، وآدب الناس، وأعرفهم بالقراءات والفقه»، وقال الإمام أحمد بن حنبل: «الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة، واختلاف الناس، والمعاني، والفقه»[2].

وكان الإمام الشافعي**متميزاً بالشعر في قريش، ومنفرداً في جودته**، وهو الذي كشف السر في ذلك، فيقول: «لا يكاد يجود شعر القرشيين، لأن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]، ولا يكون يجود خط القرشي، لأن النبي ﷺ ما كان يكتب بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨][3].

ويشير الإمام الشافعي في ذلك إلى أن قريشاً لم تشتهر بالشعر، وإلا كان ذلك مدخلاً لأعداء الله بالنيل من الرسالة الإلهية والرسول بأنه على سنن قومه، ومع ذلك لم يسلم عليه الصلاة والسلام من اتهامه بالشعر، ومع مقالة الشافعي للسابقة فقد كان الشافعي نفسه شاعراً مجيداً، وكان أكثر الأئمة كتابة بيده وبإملائه.

أما **أغراض الشعر**عند الشافعي فكانت نبيلة وسامية، لكنها محصورة، فلم يسمح الشافعي لنفسه أن يتناول جميع أغراض الشعر، لأنها لا تتفق مع فقهه وإمامته، وهذا يفسر أيضاً قلة الشعر عنده، وكان

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٩٥، وانظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٧٢ وما بعدها.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٨٠، ٨١، ديوان الشافعي ص ٧، مناقب الشافعي للبيهقي ٢/ ٤١.

(٣) الإمام الشافعي، للجندي ص ٨٢.

يقول الشعر في مناسبات كثيرة ، منها الزهد ، والتصوف الحقيقي ، والمواعظ والحكم والغزل والحب ، والتعازي والقيم ، والأخلاق والإيمان ، لكنه لم يقل شيئاً في المدح ، ولا في الذم ، وكثر عند الشافعي شعر الحكمة الذي يليق بمكانته ، ويجمل بالفقهاء والأئمة .

ويمتاز شعر الشافعي **بالعمق في المعاني ، والسهولة في الألفاظ** ، والاختيار في الكلمات ، لذلك يوصف شعره بأنه سهل ممتنع ، ويعلوه الرونق والبهجة ، والروعة والتأثير ، والعذوبة والرقة ، وهي أهم ميزات شعر السابقين الجياد ، كما يمتاز شعر الشافعي بالجودة والبديع ، فيكثر من الصورة البيانية الواضحة السهلة ، وكان من وراء هذه السهولة ، مع الارتجال في أكثر شعره ، أن تجنب الشافعي القوافي الصعبة فلم ينظم بها .

وكان معظم**شعر الشافعي مقتطفات** ، ولم ينظم القصائد الطوال ، لأنه يهدف إلى سبك المعاني الحميدة التي يقصدها في الوزن الشعري ليسهل حفظه ونقله ، ويسرع تمثله وترداده ، والاقتباس منه ، والاستدلال به ، وهذا الإيجاز هو من طبع الشافعي في كل ما يكتب بالنثر والشعر والفقه ، وأصول الفقه ، والحديث والحكمة ، لذلك قال فيه يونس بن حبيب : «كان لسانه أكبر من كتبه» .

مقتطفات من شعر الشافعي :

وللتدليل على ما قلناه في شعر الشافعي ، ولكونه يتسم بالحكمة والأقوال المأثورة ، فإننا نورد شيئاً من مقتطفات ديوانه[1] .

---

(١) مناقب الإمام الشافعي ص ١١٠ وما بعدها ، ديوان الشافعي ١٣ وما بعدها ، رحلة الإمام الشافعي ص ٥٣ وما بعدها ، المحمدون ص ١٩٣ ، مناقب الشافعي للبيهقي : ٢/ ٦٠ وما بعدها .

ينبه الشافعي على **الإحسان عند اغتنام الفرص** فيقول:

إذا هبت رياحك فاغتنمها ... فعقبى كل خافقة سكون
ولا تغفل عن الإحسان فيها ... فلا تدري السكون متى يكون

ويبين الشافعي أهمية **السفر والسياحة** في الأرض فيقول:

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه ... وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب
الأسْدُ لولا فراق الغاب ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب
التِّبْر كالتُّرْب ملقى في أماكنه ... والعُود في أرضه نوع من الحطب

وهذه صور فنية واقعية، وأدلة حسية، وبراهين ملموسة، تؤكد فوائد **السفر**، وتخفف من مفارقة الأهل بما يجنيه المسافر، فالعود الطيب الرائحة من البخور يزكو بالنقل من الأرض التي ينبت فيها، وإلا بقي حطباً، والتبر وهو الذهب الخالص لا ينتفع به الناس إلا إذا أخرج من باطن الأرض، والأسد لا يستطيع الحياة هامداً وقاعداً وكسولاً، والماء الذي يحيي الأنفس يفسد بالركود ويتغير طعمه، ويطيب بالجري والنقل، والسهم أو الصاروخ أو الرصاصة لا تحقق الهدف إلا إذا انطلقت من مقرها.

ويحب الشافعي **كثرة الأصدقاء**، ويرغب بهم، كما سبق في نثره، ويرى أن العداوة مرة، وأن عدواً واحداً ينغص عيش المرء فيقول:

وليس كثيراً ألف خلّ لواحد ... وإن عدواً واحداً لكثير

ويحث الشافعي الناس على **القيام بأمورهم الخاصة**، وألا يتكلموا على غيرهم فيقول:

ما حكَّ جسمَك غيرُ ظفرك ... فتولَّ أنت جميع أمرك
وإذا قصدْتَ لحاجة ... فاقصد لمعترف بفضلك

ويكشف الشافعي أن **العلم بحر عميق**، لا يدركه الإنسان، لكن عليه

أن يختار الأحسن ما أمكنه ، فيقول:

لـن يبلـغ العلـم جميعـاً أحـد ... لا ولـو حـاولـه ألـف سنـه
إنمـا العلـم عميـق بحـره ... فخـذوا مـن كـل شـيء أحسنـه

ويبين الشافعي **شروط تناول العلم** ، فيقول:

أخـي لـن تنـال العلـم إلا بستـة ... سـآتيـك عنهـا مخبـراً ببيـان
ذكـاء وحـرص واصطبـار وبلغـة ... وصحبـة أستـاذ وطـول زمـان

وينصح الشافعي **بالذل في التعلم** ، وعدم التكبر والاستعلاء في طلبه فيقول:

تصبر على مر الجفا من معلم ... فـإن رسـوب العلـم فـي نفراتـه
ومن لـم يذق ذل التعلم ساعة ... تجـرع ذل الجهـل طـول حيـاتـه
ومـن فـاتـه التعليـم وقـت شبـابـه ... فكبـر عليـه أربعـاً لـوفـاتـه
حياة الفتى ـ والله ـ بالعلم والتقى ... إذا لـم يكـونـا لا اعتبـار لـذاتـه

وينبه الشافعي إلى**أهمية التقوى لطلب العلم وتوفيق الله فيه** ، فيقول:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فـأرشـدنـي إلـى تـرك المعـاصـي
وقـال: اعلـم بـأن العلـم فضـل ... وفضـل الله لا يـؤتـاه عـاصـي

وفي رواية أخرى:

وأعلمنـي بـأن العلـم نـور ... ونـور الله لا يهـدى لعـاصـي

ويصرح الإمام الشافعي بكشف **طبائع الناس** ، مع تقديم الموعظة لهم ، فيقول:

نعيـب زمـاننـا ، والعيـب فينـا ... ومـا لـزمـاننـا عيـب سـوانـا
ونهجـو ذا الـزمـان بغيـر ذنـب ... ولـو نطـق الـزمـان لنا هجـانـا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب ... ويـأكـل بعضنـا بعضـاً عيـانـا

ومن كلام الشافعي في**الغزل**:

يا كاحل العين بعد النوم بالسهر ... ما كان كحلك بالمنعوت للبصر

لو أن عيني إليك الدَّهر ناظرة جاءت وفاتي ولم أشبع من النظر
إن الرسول الذي يأتي بلا عدة مثل السحاب الذي يأتي بلا مطر

وقال الشافعي في التعازي مع الحِكَم:

إني معزيك ، لا أني على ثقة من الخلود ، ولكن سنة الدين
فلا المُعزَّى بباق بعد ميته ولا المعزِّي ، وإن عاشا إلى حين

وبعد: فإن ديوان الشافعي لم يجمع قديماً ، وإنما بقي بعضه مبثوثاً في بطون كتبه ، وبعضه قد انتشر في كتب التفسير والفقه والتصوف والأدب والتاريخ والحكم والأمثال ، إلى أن جمع معظمه الأستاذ الكبير زهدي يكن قاضي بيروت ، ثم جمع أكثره ، الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل.

رحم الله الشافعي ، فإن علمه وأدبه يملأان طباق الأرض ، وكأن الحديث الشريف «اللهم اهدِ قريشاً ، فإنَّ عالَمها يملأُ طِباق الأرض عِلماً»[1] ينطبق عليه.

وأختم هذا البحث الموجز ببعض **شعر الحكم** للإمام الشافعي ، فيقول في **القناعة والسؤال**:

العبد حر إن قَنِع والحر عبد إن مَنَع

ومعناه أن العبد حر إن قَنِع بمعنى رضي ، من باب رضي يرضى وزناً ومعنى ، وهو القناعة والرضا ، والحر عبد إن قَنَع أي سأل ، من بات قنع يقنع ، أي يسأل يسأل ، وزناً ومعنى ، أي طمع وبطر وسأل.

ويقول الشافعي أيضاً عن **الطمع والقناعة** ، ويصور تنازع العواطف

---

(١) رواه الطيالسي والبيهقي في المدخل والترمذي والإمام أحمد (كشف الخفا ٢/٦٩) ، وانظر التخريج الكامل للحديث في : سير أعلام النبلاء ١٠/٨٢ هامش ، مسألة الاحتجاج بالشافعي ص ٣٩٢ هامش من مجلة البحوث الإسلامية ، مناقب الشافعي للبيهقي ١/٢٦ هامش ٦.

عند الإنسان ، ليختار العاقل الأفضل :

أمـتُ مطـامعـي فـأرحـتُ نفسـي فـإن النفـس مـا طمعـت تهـون
وأحييـت القنـوع ، وكـان ميتـاً ففـي إحيـائـه عـرضـي مصـون
إذا طمـع يحـل بقلـب عبـد علتـه مهـانتـه ، وعـلاه هـون

ويقول الشافعي في **الزهد والتقوى** ، واصفاً عباد الله تعالى الصالحين بقوله :

إن لله عبـادا فُطُنـا طلّقـوا الـدنيـا وخـافـوا الفتنـا
نظـروا فيهـا فلمـا علمـوا أنهـا ليسـت لحـي وطنـا
جعلـوهـا لجّـة واتخـذوا صـالـح الأعمـال فيهـا سفنـا

رحم الله الإمام الشافعي ، وأغدق عليه شآبيب رحمته ، وجزاه الله عنا خيراً ، ووفقنا لصالح الأعمال ، وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، والله ولي التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين .

❊ ❊ ❊